أمراض الدعاة في ظلال حديث "ماذئبان جائعان..."

جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: **"ماذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه"**. أخرجه الترمذي[1].

من خلال هذا الحديث سنحاول أن نسلط الضوء على بعض الأمراض المتفشية بين الدعاة وهي كثيرة من أهمها:

الحرص على جمع المال

وهو من الأمراض المتفشية بين الدعاة وغيرهم، وهو داء عضال ومرض قتال، قلما يسلم دين الرجل وخلقه منه؛ وذلك لأن حرص هذا الرجل على المال يمكن أن يؤدي به إلى ارتكاب الوسائل المشروعة وغير المشروعة من أجل أن يثرى ويصبح من أصحاب رؤوس الأموال، فتراه مثلا يغش في تعاملاته، ويخادع الناس ويكذب عليهم، ويزين لهم مشروعاته وحتمية ربحها التي لا تنقص عن نسبة كذا وكذا مثلاً إن لم تكن الضعف، ثم يفاجأ الناس بعد ذلك بالحقيقة المرة والنهاية المؤسفة التي تعلن فيها خسارة هذه المشاريع وفشلها، ولكن بعد إثراء القائمين عليها أو على أقل تقدير سلامة رؤوس أموالهم من أي خسارة، فهذا مظهر من مظاهر الحرص المتنامي أُشَخِّصُه كظاهرة متفشية هنا وهناك، ولا أقصد شخصا بعينه أو فئة محددة.

ومظهر آخر: وهو أن الحرص قد يؤدي بالشخص إلى التهاون بالفرائض والواجبات في الغالب، إن لم يؤد به إلى الترك بالكلية أحيانا، وقد وجدنا من حدث منه مثل هذا قديما وحديثا، ففي القديم كان رجلا محسوبا على أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعى ابن جميل، أغناه الله بعد أن كان فقيرا، فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم

١- سنن الترمذي: ٤/ ٥٨٨، برقم: ٢٣٧٦، قال الألباني: (صحيح)، انظر: صحيح الترغيب والترهيب: ١٤٦/٢، حديث رقم: ١٧١٠.

من يجمع منه زكاته، فامتنع عن أدائها، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **"ما ينقم ابن جميل إلا أن كان فقيرا فأغناه الله ورسوله**[1]، وذكر الله تعالى حال هذا وأمثاله في قوله جل شأنه: ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ* فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ* فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾[التوبة ٧٥- ٧٧].

وفي الوقت الحاضر أعرف رجلا قلما كانت تخطئه فريضة في مسجد أو يفوته واجب أخوي، أو دعوي، حتى إنه من حرصه على إدراك هذا الواجب في أحد الأيام تقلبت به السيارة فسلمه الله تعالى بفضله، ثم لعل ذلك ببركة مقصده، غير أنه بعد ذلك دخل في هذا الباب، وصار حلمه أن يكون (**مليونيراً**) فتحقق له ذلك، ولكن على حساب دينه وخلقه ودعوته، حتى إن أحد الناس من الناشطين في مجال الخير عرض عليه مشروع بناء مسجد – وكان يعرفه سابقا – فأبدى استعداده وتكفل ببنائه، وقال له: اعتبر أن هذا المشروع مشروعي، فلما افترقا واتصل به بعد ذلك لتنفيذ المشروع أنكر تماما أنه وعده وقال له بصريح العبارة: نحن لا نستطيع أن نلبي مطالب الناس كلهم، ونتحرج كذلك أن نرفض مطالبهم مباشرة، فنضطر أن نصرفهم عنا بهذا الأسلوب.

فتأمل رحمك الله كيف غيَّره حرصه على المال وحَمَلَهُ على الكذب، وخُلف الوعد، والمداهنة، والتهاون بواجباته.. نعوذ بالله من الخذلان.

ومن مظاهر الحرص: ترك السنن والمستحبات، بدعوى أن هناك ما هو أهم منها من الانشغال بالواجبات، أو قضاء مصالح الناس ونحو ذلك وهذا لا شك أنه مدخل من مداخل الشيطان الكثيرة التي ينفذ منها إلى المرء بحيث إذا لم يستطع أن يوقعه في ترك الواجبات زين له ترك المندوبات، حتى إذا استمر هذا الترك استطاع أن يقنعه بعد ذلك بترك ما هو أعظم وأشد منه.

ومن مظاهر الحرص التقتير على النفس والأهل والبخل والشح بما أوجبه الله في ماله أو رغب فيه، وهذا يوجد للأسف عند أكثر هؤلاء من أصحاب الأموال إلا من رحم الله،

١- أخرجه البخاري: ٣/ ٥١٦، برقم: ١٤٦٨، واللفظ له، ومسلم: ٣/ ٦٨، برقم: ٢٣٢٤.

وهو من أشد الأمراض وأسوئها وأفتكها بدين المرء، قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[الحشر: ٩] ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: "واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم"[١]، فهل هناك أشد فتكا بالدين من هذا؟

وفي هذا المعنى ذكر لي أخ فاضل أنه دخل على أحد هؤلاء المكثرين يستوضعه في إيجار البيت الذي عليه – وكان مستأجراً منه – فأبى وتمنع وصد أيما صدود، قال: ووجدته يأكل خبزاً وملحاً وبصلاً، فدعاني إلى الأكل معه، فاعتذرت له وقلت له: مع شدة حاجتي وفقري إلا أنني أطيب أكلا منك، قال: ثم انصرفت، قال: وقدر الله أن يموت ذلك الرجل بعد ذلك، ويخلف لورثته ما يقارب من عشرين مليون دولار لم يعرف عنه أداء حقها، ولا بر الفقراء والمساكين بها، ولا ظهرت آثارها عليه ولا على أهله وولده، فهذا المسكين الذي بخل بحق الله في ماله، إن لم يرحمه الله تعالى في الآخرة ويغفر له فما ينتظره من العذاب فوق ما يتصوره العقل أو يصفه اللسان، قال تعالى: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[آل عمران:١٨٠].

وفي الحديث الذي رواه البخاري ما يؤكد هذا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مُثِّل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع – أي حية ذكرا – له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعني بشدقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون﴾ الآية"[٢].

ومن مظاهر الحرص على المال: ارتكاب الفواحش والمحرمات التي نهى الله عنها أي أن هذا الجامع وإن كان حريصا على تكثير ماله وجمعه وكنزه، لكنه من جانب آخر لا يبخل على نفسه بما يوردها المهالك ويرديها في جهنم فتراه يغدق عليها من الشهوات ما لا حدود له ولا نهاية كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى﴾[العلق:٦].

١- صحيح مسلم:٨/ ١٨، برقم: ٦٧٤١.

٢- صحيح البخاري:٣/ ٤١٠.

وزاد هذا المعنى وضوحا قوله صلى الله عليه وآله وسلم: **"إياكم والشح فإنما هلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالفجور ففجروا"**[1].

هذه بعض مظاهر الحرص على جمع المال ولا يعني هذا أن الدعاة واقعون فيها، كلا.. وإنما المراد التحذير منها وضرب الأمثلة ليتعظ بها العقلاء ويتذكر أولو الألباب، وأسوة كذلك بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي حذر من داء الحرص بقوله: **"ماذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه"**[2].

وبعد هذا فلا يفهم عني أنني أحذر من جمع المال على الإطلاق، أو من الاشتغال بالتجارة المباحة، كلا، إذ الإقدام على تصرف مثل هذا جهل بالدين وحمق وغباوة وعدم إدراك للواقع، كيف وقد أمر الله تعالى بالسعي في الأرض والاشتغال بالتجارة كما في قوله: ﴿**فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾[الملك:١٥]، وقوله: ﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ** ﴾[الجمعة:١٠]، وكذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدح الساعين لجمع المال من حله عن طريق العمل أو التجارة بقولة: **"ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده"**[3]، وقوله **"وكان زكريا** – عليه الصلاة والسلام –**نجارا**[4]**"**، وقوله لعمرو بن العاص: **"نعم المال الصالح للمرء الصالح"**[5]، وقد كان كثير من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يشتغلون بالتجارة حتى أنهم أثْروا من ذلك، على تفاوت فيما بينهم كأبي بكر الصديق، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وغيرهم وكثير منهم لهم مواش، وآخرون لهم حدائق، ومزارع ولكل نوع من هذه الأنواع طريق من طرق جمع المال، فلم ينكر عليهم النبي صلى الله

١– سنن أبي داود:١/ ٥٣٠، وقال الألباني: «إسناده صحيح»، صحيح أبي داود:٥/ ٣٨٠، برقم: ١٦٩٨.

٢– سبق تخريجه.

٣– صحيح البخاري: ٢/ ٧٣٠، برقم: ١٩٦٦.

٤– سنن ابن ماجه: ٢/ ٧٢٧، برقم: ٢١٥، قال الألباني: «صحيح»، انظر صحيح وضعيف سنن ابن ماجه،٥/ ١٥٠.

٥– أخرجه البخاري في الأدب المفرد:١/ ١١٢، برقم: ٢٩٩، وصححه الألباني، انظر صحيح الأدب المفرد:١/ ١٢٧.

عليه وآله وسلم عملهم هذا، بل أقرهم عليه وندبهم إليه وبين لهم الحلال الحرام فيه، لكنهم لم يكونوا كغيرهم من الناس أو غالبيتهم، لا يضبطهم ضابط، ولا يردعهم رادع، ولا يزجرهم زاجر بل كانوا في بيعهم وشرائهم وجمعهم للمال مضبوطين بضوابط الشرع فأصبح المال بذلك نعمة وليس نقمة، ومن أهم الضوابط التي انضبطوا بها: ألخوف من الله تعالى وأداء الفرائض، وأداء الحقوق فاستحقوا بذلك مدح الله لهم بقول: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾[النور: ٣٧].

فمن انضبط بهذه الضوابط فلا عليه أن يجمع المال كيفما اتفق له.

ومن أمراض الدعاة:

مرض الحرص على الشرف

وقبل الإفاضة فيه أحب أن أنبه على ماهية الشرف وكيفية الحصول عليه، ووجه إفساده للدين.

فأما حقيقة الشرف، فهو الجاه العريض بين الناس وعلو المكانة بينهم، ويحصل للمرء إما وراثة عن آبائه كابرا عن كابر، فحرص مثل هذا الإنسان على بقاء الشرف فيه واستمراره أو طلبه غير مستنكر في الغالب عند الناس، بل لعلهم يلتمسون له الأعذار، ويصطنعون له التبريرات الحاملة له على ذلك، ومن هذا القبيل جواب هرقل ملك الروم لأبي سفيان رضي الله عنه لما كان بالشام، في تجارة له وسؤاله إياه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: هل كان من آبائه من ملك؟ فقال: لا فقال هرقل: لو كان من آبائه من ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه[1]، ويقصد هرقل أنه لا لوم عليه في ذلك لو قام بطلبه، لأنه إنما يطلب حقاً مشروعاً له وملكا مسلوباً منه، وهذا المفهوم عند الساسة قديماً وحديثاً، جعلهم لا ينتهون عند حد، ولا يقفون عند شيء في سبيل الحصول على مطالبهم وتحقيق مآربهم، مهما كلفهم ذلك من ثمن وقدموا من تضحيات وما حال الإمام أحمد حميد الدين – إمام

١- أخرجه البخاري في بدء الوحي: ١/٣١، برقم: ٧.

اليمن قبل الثورة – عنا ببعيد، فمن أجل استعادة ملكه قتل الآلاف واستباح الدماء والأموال والأعراض. وكذلك فعل ابنه البدر من بعده، لكنه لم يظفر بطلبه كأبيه بعد سنوات من الطلب، فمات بعيدا طريداً، مكموداً، وغير هذين كثير لا يتسع المقام لذكرهم.

وإما أن يحصل الشرف عن طريق الكسب لكنه لا يحصل لكل أحد رامه وطلبه، وإنما لمن علت همته وكثر سعيه، وعظم دهاؤه، وقدر له ذلك في علم الله تعالى، واقرأ مثلا على هذا قصة رجلين، أحدهما في الجاهلية والآخر في الإسلام، ترقى بهما الحال حتى وصلا إلى منصب الحجابة في الدولة، وهو منصب كبير يستولي فيه الحاجب على أمر الحاكم فلا يُبرمُ شيئاً، ولا يعقد لواءً ولا يولي أحداً أو يعزله إلا بأمره ومشورته وتوقيعه.

أما مَثَلُ الجاهلية فعصام بن شهير، حاجب النعمان بن المنذر، اتصل بأحد أتباع النعمان بن المنذر، فلم يزل يتدرج بعلو همته حتى اتصل بالنعمان، واستولى على أمره فقيل للنعمان في ذلك، فقال: ما أنا قدمته، وإنما قدمته الأخلاق السرية المجتمعة فيه، وفي ذلك يقول عصام:

نفس عصام سودت عصاماَ وعلمته الكرَّ والإقداماَ

وصيرته ملكا همـــاَ

وأما مَثَلُ الإسلام: فالمنصور بن أبي عامر، حاجب الأندلس وملكها الفعلي، ترقى من الكتابة إلى الحجابة، واستولى على مقاليد الأمور في الدولة، فصار يولي الولاة ويعزلهم ويقود الجيوش ويصرف أمور الدولة باسم أمير المؤمنين ودون الرجوع إليه، ولم يكن هو ولا الذي قبله شيئا يذكر قبل ذلك.

وأيا كان نوع الشرف هذا أو ذاك فإن الحرص عليه مفسدة للدين كما قال صلى الله عليه وآله وسلم، ووجه إفساده له أن الحريص لا يتورع عن القتل إذا استدعى الأمر عنده ذلك غير مبال بالعواقب الوخيمة لهذه الجريمة في الدنيا فضلا عن الآخرة، التي وعد فيها القاتل عمداً بأشد الوعيد من الخلود في النار والعذاب العظيم ولعنة الله وغضبه عليه، حتى ولو كان الأمر لا يستدعي القتل أصلاً كالانتخابات النيابية، وانتخابات المجالس المحلية التي رضي فيها المرشحون والناخبون بجميع ما تفرزه الصناديق من نتائج نزيهة، سواء كانت

لهم أو عليهم، فإن بعض المرشحين ممن لا دين له ولا خلق لا يتورع عن القتل، أيضاً حينما يرى الفرز يسير لغير صالحه، فتراه يبدأ بحشد أعوانه المسلحين والتمترس وإطلاق النار على هذا وذاك، وهنا وهناك، مما يجعل بعض المرشحين الصالحين للأسف الشديد يرد على الحشد بحشد مثله، وعلى إطلاق النار بإطلاق مثله، فتنشب معركة بين الطرفين وتنتهي بسقوط بعض القتلى بين الجانبين، وأكثر الأحيان في جانب المعتدى عليهم فقط.

فإذا سألت هذا المرشح الصالح وأعوانه لماذا قاتلتم وقتلتم؟ وقد سمعتم الله تعالى ينهى عن القتل العمد ويتوعد عليه بأشد الوعيد في الآخرة، وسمعتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: **"إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار فقلت يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال إنه كان حريصا على قتل صاحبه "**[1]، وقوله: **"يجيء الرجل آخذاً بيد الرجل فيقول: يارب هذا قتلني فيقول الله عز و جل : لم قتلته ؟ فيقول : لتكون العزة لك فيقول : فإنها لي قال : ويجيء الرجل آخذا بيد الرجل فيقول : أي رب إن هذا قتلني فيقول الله: لم قتلت هذا؟ فيقول: لتكون العزة لفلان فيقول: إنها ليست له بؤ بذنبه"**[2]، فيقولون: قاتلنا دفاعا عن النفس وعن الحق.

وهذا عندي جواب صحيح في الظاهر ولكني آراه غير صحيح في الحقيقة لأن الدفاع عن النفس يمكن تفاديه بعدم الحشد المضاد وعدم الرد بالمثل، وكذلك بالانسحاب من المواقع، وفي حال أن الآخر لم يترك لهم فرصة لذلك، فليكونوا كما أرشدهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في القتال أثناء الفتنة، أن يكسر المرء جفن سيفه، أو يتخذ سيفا من خشب – بمعنى أنه لا يقاتل – ويكون عبد الله المقتول وليس عبد الله القاتل، أو يكون كخير ابني آدم حتى يبوء قاتله بإثمه، فيكون من أصحاب النار.

أما كون قتالهم دفاعا عن الحق، فهو في ظني حق مزعوم، لأننا لم نجد على تسميتهم له حقا أي دليل من الكتاب والسنة وأقوال السلف، بل العكس وجدنا أن من يحرص على طلب مثل هذا ونحوه، أنه مذموم فكيف بمن يقاتل عليه، وذلك كما في حديث عبد

١- صحيح البخاري: ١/ ٣٥، برقم: ٣١.

٢- المعجم الكبير للطبراني: ١٠/ ٩٦، برقم: ١٠٠٩٥، سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٦/ ١٩٧، برقم: ٢٦٩٨.

الرحمن بن سمرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له: **"لا تسأل الإمارة فإنك إن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها وإن أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها"**[1]، إضافة إلى هذا إن هذا الحق المزعوم لم يستطع أن يمنع أي قرار ظالم، ولا أي قانون جائر على الشعب، أو حتى يخفف منه على أقل تقدير، فإذا لم يستطع أن يقوم بمثل هذا الدور اليسير، فما هي الفائدة منه إذاً؟! لا شيء، اللهم إلا الفائدة الشخصية أو بعض الفوائد المعنوية الأخرى التي لا تكاد تذكر.

إن الأمر ببساطة – وهذا يعيه الصالحون – أن هذا الحق إنما يستفيد منه الأكثرية وليست الأقلية، وحصول الصالحين على الأكثرية في ظل نظام متسلط يدعي الديمقراطية وهو منها براء، أمر مستحيل وبالتالي فإن هذا الحق منعدم بالنسبة لهم تماما إلا لأفراد منهم، فدفاعهم عنه دفاع عن حق متوهم لا يعدو أن يكون شخصياً في الغالب.

والحل في مثل هذا في نظري، إذا وصل الأمر إلى حد المواجهة الفعلية، أن يتم التنازل عن هذا الحق المزعوم لصالح الآخر، حقنا للدماء كما تنازل الحسن بن علي رضي الله عنه بالخلافة كلها لمعاوية رضي الله عنه، فيكونوا بذلك سادة في الدنيا والآخرة، حتى ولو شاب هذا التصرف شيء من الذلة والمهانة فالعار ولا النار كما قال الحسن رضي الله عنه، لشيعته، وفي الحقيقة أن مثل هذا التصرف ليس عاراً ولا عيباً ولا عجباً، بل هو قمة النبل والكرم والاتزان الذي يستحق صاحبه المكافأة عليه في الآخرة على رؤوس الأشهاد، ففي الحديث الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رءوس الخلائق يوم القيامة حتى من الحور العين يزوجه منها ماشاء"**[2].

وإنما الذي يدعو للعجب، كل العجب في الحقيقة هو حال هؤلاء الأعوان للمرشح، فإني لم أجد بعد طول تفتيش أحداً أكثر غباءً ولا أشد حمقاً منهم، حيث تراهم يقاتلون بكل بسالة، فيقتلون أو يقتلون نصرة لمرشحهم لا غير، ولا ناقة لهم في الأمر ولا جمل، وكل غنيمتهم من ذلك إن لم يكن الإياب فهو قوت ذلك اليوم و(تخزينته) في حين لو فاز

١- صحيح البخاري: ١٦/ ٤٨٥، برقم: ٦٦٢٢.

٢- سنن ابن ماجه، ٢/ ١٤٠٠، برقم: ٤١٨٦، وحسنه الألباني، انظر صحيح الترغيب والترهيب٣/٣٠، ٢٧٥٣.

مرشحهم ذهب بالغنيمة كلها و لم يعلم بهم بعد ذلك في أي واد هلكوا: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُوْلِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً﴾[الطلاق:١٠].

أقول هذا نصيحةً وأؤكد أنني لا أمانع من المشاركة في الانتخابات إذا كانت سليمة وحرة ونزيهة لكونه لا يوجد عند المسلمين في الوقت الحاضر وفي ظل ضعفهم وتبعيتهم وهينمة قوى الاستكبار عليهم أي بديل عنها، وقد قيل سابقا، إن مالا يدرك كله لا يترك جله، إذ بالمشاركة يتحقق التوازن في المجتمع، ويحافظ على المكتسبات ويؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وتقام الحجة على المخالفين، معذرة إلى الله وإلى الناس.

ولأجل هذه المصالح وغيرها ذهب كبار العلماء في السعودية ومصر والشام واليمن إلى جواز المشاركة في هذه الانتخابات.. والله أعلم.

ومن أوجه إفساد الشرف للدين: حمل طالبه على الكذب المتعمد دون مسوغ شرعي والمداهنة في الدين بلا استحياء ونجد مثل هذا الأمر أكثر ما يوجد اليوم عند أكثر الزعماء ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ممن قدر له التصدر والتحدث باسم حزبه أو جماعته أو حكومته، فالزعماء اتخذوا الكذب على شعوبهم سياسة، ومن لا يحسن منهم الكذب معناه لا يحسن السياسة حتى قال قائلهم بقاؤنا في مناصبنا مرهون بمدى كذبنا على شعوبنا، واستطاعوا بسياسة الكذب أن يخدعوا شعوبهم ويزينوا لهم القرارات الجائرة التي يصدرونها والاتفاقات الظالمة التي يبرمونها واعتبار ذلك من عبقرية القائد وحكمته التي تجنب البلاد المخاطر والسقوط في الهاوية، وأنه لولا هذه السياسة الحكيمة لهذا القائد الفذ لدخلت البلاد في نفق مظلم الله أعلم بنهايته، وهكذا يكذبون في كل شيء وعلى كل أحد حتى على الصدق نفسه، وإذا لم يسلم الصدق منهم فماذا ينتظر منهم وماذا يتوقع منهم غير التمادي في الكذب والإيغال فيه إلى أن يصل بهم في النهاية إلى الهاوية الحقيقية التي أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم في الآخرة، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- **"ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم – قال أبو معاوية ولا ينظر إليهم – ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر"**[1].

١- صحيح مسلم،١/٧٢، برقم: ٣٠٩.

وأما المتحدثون باسم أحزابهم وجماعتهم فلا يبعد عنهم الكذب غير أنه يقل كـــثيراً في الأحزاب الدينية ويقل أكثر في الجماعات لا أنهم يسلمون منه البتة بل لعلك أن تجد فيهم من يؤصل للكذب على الاطلاق دون ضوابط شرعية ما دام أنه يصب في مصلحة الحزب أو الجماعة بدعوى النصيحة وأن الحرب خدعة، وتنطلق أحياناً من بعـــض قـــادة هـــذه الجماعات الإسلامية التي هي في مواجهة العدو تصريحات نارية هي أكبر مـــن حجمهـــا وأكبر من قدراتها وإمكاناتها تبين فيها نهاية العدو الوشيكة وأن المعركة الحقيقية معه لم تبدأ بعد وأنهم سيفعلون به ويفعلون به مما يجزم معه المستمع إليهم بمبالغتهم في ذلك وعـــدم صدقهم، صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"الحرب خدعة"**[1]، لكن مراده أنها مع العدو وليست مع المسلمين، وهؤلاء يمارسون هذه الخدعة مع المسلمين مما يجعل بعض هؤلاء يصدق بها إلى درجة الاعتقاد بقرب الفتح الأكبر واسترقاق النســـاء والصـــبيان، وأعتقد أن من يصدق مثل هذا الأمر في ظل ضعف المسلمين وتفرقهم وذهاب ريحهم أنه مغفل أحمق وليس هذا إنكاراً لما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم في آخر الزمان مـــن انتصار المسلمين على عدوهم فإن هذا واقع لا محالة إن شاء الله، ولكن ظواهر الأحاديث كلها تؤكد أنهم إنما يحققون ذلك بعودتهم إلى ربهم ووحدة صفهم وتعـــاطيهم لأســـباب النصر وعوامل الثبات التي أمر الله بها.

ومن ذلك ـــ أي أوجه إفساد الشرف للدين: ترك مواجهة الباطل وعدم المطالبة بإزالة المنكر عملياً مع القدرة على ذلك طلباً للراحة وحرصاً على الكرسي وخوفاً من أن يناله شيء من الأذى الجسدي والمعنوي مع علمه بأن النبي صلى الله عليه وسلم يقـــول: **"من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلـــك أضعف الإيمان"** [2]، وفي حديث آخر: **"وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل"**[3].

ولو كان هذا التفكير وهذه النظرة للعواقب موجودة عند الأنبيـــاء علـــيهم الصـــلاة والسلام لما بلَّغوا دين الله تعالى إلى الناس ولجلسوا في بيوتهم يدعون الله ويبتهلون إليـــه أن ينصر دينه ويبلغه إلى خلقه، لكنا نعلم أن منهم من قتل، ومنهم من ضرب حتى سال الدم

١- صحيح البخاري،٣/ ١١٠٢، برقم: ٢٨٦٦.

٢- أخرجه مسلم، ٦٩/١ برقم: ٤٩.

٣- أخرجه مسلم، ٦٩/١ برقم: ٥٠.

منه، ومنهم من سجن، ومنهم من حورب وأخرج، وكل ذلك بسبب تبليغهم لـــدين الله ومواجهتهم للباطل بكل حزم، وفي الحقيقة أن مثل هذا التفكير والخوف عند هؤلاء لهـــو شيء عجيب وغريب أن يصدر من حامل للمسئولية لأنه يعلم يوم تحملها أنها مســـئولية مضاعفة وأن طريقها محفوف بالمخاطر وقابلة كل الاحتمالات كما قال الله تعالى: ﴿الم* أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[العنكبـــوت:١، ٢]. وقـــال رسوله صلى الله عليه وسلم: **"أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل"**(١).

وإذا كان هذا المسئول يشعر في نفسه أنه عاجزٌ أو يضعف عن تحمل المسئولية فلمـــاذا تحملها من الأصل؟ ولماذا يبقى متشبثاً بها، وقد قال النبي صلى الله عليـــه وســـلم محـــذراً الضعفاء منها: **"يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا مـــن أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها"**(٢)، وفي لفظ: **"يا أبا ذر إني أراك ضعيفا وإني أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم"**(٣).

وليس معنى هذا أن يطلب الإنسان الموت في مظانه، ويتمنى لقاء العدو، ويورد نفســـه المهالك التي نهى الله عنها، ويصادم السنن، ويغفل عن الموازنات، ولكن هذا فيه تذكير له بالمسئولية عند وجود اقتضائها وانتفاء موانعها ومن ذلك: أكل المال الحرام بالشبهة، وهذا باب واسع دخل منه الشيطان إلى أناس كثيرين يعملون في مجال الخير حيث زيـــن لهـــم التصرف فيما يأتيهم من مال وأكله بأدنى شبهة فمثل هؤلاء يخشى عليهم مـــن الوعيـــد الشديد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل: **"إن رجالا يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة"**(٤).

ومن ذلك أيضاً: التحلل من الأخلاق دون حياء من الله أو حياء من الناس، وكم رأينا من هؤلاء الممسوخين ممن كان من قبل ذلك قمة في الالتزام، وقدوة في الامتثال، فمسخه حرصه على الشرف وجرَّده من كل الأخلاق السوية، فلم يعد حسن الذي تعرفه بالحسن،

١- صحيح البخاري،١٤/ ٢٤٥، برقم: ٥٦٤٨.

٢- صحيح مسلم، ٦/ ٦، برقم: ٤٨٢٣.

٣- صحيح مسلم،٦/ ٧، برقم: ٤٨٢٤.

٤- صحيح البخاري٣/ ١١٣٥، برقم: ٢٩٥٠.

ولا صادق بالصادق ولا محمود بالمحمود، ومن هؤلاء -على سبيل المثال- أحد الوزراء الذين كان لهم باع طويل قبل ذلك في الدعوة يحضر حفلاً غنائياً راقصاً لإحدى المغنيات، ويُرى وهو في الصف الأول يصفق بيديه وينظر بعينيه إلى الأجساد العارية دون حياء ولا خجل، وآخر من المحسوبين على العلماء ويشغل في الوقت نفسه منصباً كبيراً في الدولة يحضر حفلاً في أحد نوادي الروتاري الماسونية، وثالث ينشئ منتدىً أدبياً يدعو إليه كل شاذ في التفكير من الجنسين، ويتغزل فيه بجسد المرأة وجمالها على مسمع ومرأى من الملايين وكأن حال هؤلاء يقول: [ما لله لله وما لقيصر لقيصر].

وأخيراً من أوجه إفساد الشرف للدين: التزلف إلى الحكام بالفتاوى الباطلة من قبل بعض العلماء حفاظاً على مناصبهم في الدولة أو بقصد التقرب من هؤلاء الحكام، ولا يغيب عنا في هذا المقام فتاوى شيخ الأزهر السابق رحمه الله تعالى: الله بإباحة الفوائد الربوية، ووجوب خلع المرأة حجابها في فرنسا طاعة لولي الأمر هناك واعتبار هذا الأمر شأناً فرنسياً داخلياً، وقد سبق شيخ الأزهر في مثل هذه الفتاوى الشاذة الأستاذ أحمد حسن الباقوري رحمه الله حيث أجاز للمرأة أن تصلي بلباس السباحة (المايوه)، وأجاز الاختلاط بين الجنسين دون قيود معتبراً أنه سنة عريقة سنها النبي صلى الله عليه وسلم،.. إلى غير ذلك، ويتوالى المفتون الشواذ المتزلفون إلى الحكام في كل زمان ومكان، وأحد هؤلاء يخرج في برنامج تلفزيوني يدير فيه حواراً استخباراتياً مع آخرين يقررهم فيه بعدم شرعية الجهاد في العراق والشيشان وأفغانستان، وآخر يوجه إليه سؤال في أحد البرامج الخاصة بالفتاوى عن حكم الأشخاص الوافدين بقصد الزيارة لا بقصد العمل وتخلفوا للعمل ولم يعودوا إلى بلدانهم ما حكم عملهم؟ والأجر الذي يتقاضونه منه وحكم تشغيلهم؟ فأفتى -مأزوراً- بحرمة عملهم وتشغيلهم وحرمة الأجرة التي يأخذونها وعلل ذلك بأن بقاءهم في البلاد غير مشروع، وعملهم أيضاً غير مشروع لأنه بغير إذن ولي الأمر ولا رضاه، وهم في ذلك عاصون له، وقد أوجب الله عليهم طاعته ومن طاعته أن يلتزموا بالنظام الذي أصدره والذي ورد فيه أنه لا يحق لمن يقدم لغير العمل أن يعمل في البلاد، وأصدق ما يرد به على هؤلاء قول النبي صلى الله عليه وسلم: **"أجرأكم على الفتيا**

أجرؤكم على النار"[1]، وقوله صلى الله عليه وسلم: "من أفتي بفتيا غير ثبت فإنما إثمه على من أفتاه"[2].

والله أعلم

إعداد

أ.د / عبد الرحمن إبراهيم الخميسي

أستاذ الحديث وعميد كلية الإيمان بجامعة الإيمان

الأستاذ المشارك بكلية التربية – قسم الدراسات الإسلامية

جامعة صنعاء

متابعة وتنسيق:

رياض عيدروس عبد الله

٣٠/ محرم/١٤٣٢هـ

٢٠١١/١/٥م

١- سنن الدارمي، ١/ ٦٩، برقم: ١٥٧. قال الألباني: (ضعيف)، السلسلة الضعيفة،٤/ ٢٩٤، برقم:١٨١٤.

٢- سنن ابن ماجه،١/ ٢٠، برقم:٥٣، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، ٢٥٢/٥، حديث رقم:٥٩٤٥.